ليسا
في أرض أخرى
حازم عبد اللطيف
انها ملاك رقيق لا يمس لعالمنا
بصلة، فقط أراه في عالم الأحلام-
حلمي انا- تنتظرني انا بجانب
القمر الخجول من كونه قمرا ثانى،
بعد القمر الأول...(ليسا)

المؤلف / حازم عبد اللطيف

حكاية ليسا

أسيل في ارض اخري

«الأن يخيم على المكان الظلام والمكان هو غرفتي، وتصمت كل الأصوات الا اصوات الأنفاس والأنفاس هي انفاسي، يغمرني العرق.. اتقلب في الفراش وابتلع ريقي بصعوبة، اشعر بالبرودة وشعور اخر غريب غير قادر علي تحديد كنته الأن.. هل هو خوف؟.. ام هو قلق؟. ام ماذا؟

لا اعلم ولا اشعر الا بدقات قلبي المهرولة ..وبقلبي الذي يضخ دمائه بعنف حتي اوشك أن يقف!. ولكن ما اعلمه، اي كان ما هو فهو لا يهم. لأنني الأن في تلك اللحظة ما بين الخيال والحقيقة.. ما بين الحلم واليقظة ..ما بين عالمي وعالم اخر.. ما بين الإفاقة والقوة المريبة التي تسحبني للخلف!.. داخل الفجوة السوداء التي لا تبشر بما في داخلها. هل هو شر ام خير.. حلم جميل ام كابوس بشع، ايضاً لا اعلم تلك اللحظة هي اللحظة التي اعود فيها إلى العالم ولكن ما اشعر به فعلاً هو اني لا اريد العودة، اريد ترك تلك اليد تسحبني ولكن جسدي يرفض.. انا لا اريد العودة اريد ان ابقي معك.. معك للأبد!.. »

شهقت وفتحت عيناي وانفاسي متلاحقة والهث في ظلام غرفتي، هكذا مددت يدي إلي زجاجة المياه البلاستيكية بجانبي علي الكمودينو بجوار الأباجورة تماماً التي تبعث ضوء اصفرا واهنا لا يضيء الا زجاجة المياه واخذت فاتحا حنجرتي واشرب المياه بنهم.

حتي سرعان ما سقط نص لتر-ونص الزجاجة- في معدتي، وسرت الدماء في عروقي واندفعت المياه من شدقاي لتبلل بجامتي لبانية اللون... وما زلت الهث!

اهدء.. اهدء.. اهدء

هكذا كنت اردد لنفسي حتي شعرت بالارتياح مجددا وهدأت ثم عادت ذاكرتي تنشط مجددا «يقولون أن اول خمس ثوان من الاستيقاظ تكون فيها فاقد الذاكرة».

اشعلت النور وهرعت إلي المكتب ممسكا بالقلم واتيت بورقة من الدرج، وعلي ضوء المصباح بدأت اكتب، اسمها في المنتصف بخط اغلظ واكبر حجما كي يكون هو عنوان الصفحة «ليسا» اسمها هو (ليسا)..

من هي؟

انها ملاك رقيق لا يمس لعالمنا بصلة، فقط اراه في عالم الأحلام- حلمي انا- تنتظرني انا بجانب القمر

الخجول من كونه قمرا ثاني، بعد القمر الأول.. هي.. بدون مبالغة في الغزل.. دعني ادخل في الموضوع سريعا بعدما انتهيت من كتابة السطور تحت اسمها، وامتلأت الصفحة.. ولا تخجل والقي نظرة معي.. ستري انها قصة.. وستعتقد لوهلة اني كاتب ومؤلف قصص مخبول راوده حلم وجد فيه فكرة وقبل ان ينساها، هرع إلي الورقة والقلم واخذ يدونها في حماس وشغف وانبهار، الأمر في الحقيقة ليس هكذا تماماً والا كان هذا الحلم راودتني فيه فكرة تستحق أن تكون عظيمة وأن تأخذ جائزة نوبل.. ولكن لا.. هذه (ليسا) فعلاً رفيقة دربي في عالم اخر، ابشع لحظات يومي هو عندما اكون مستيقظا!.. اريد أن انام.. انام طويلا.. وأتمني لو كانوا اخترعوا جهاز ينام بداخله الإنسان ولا يستيقظ الا في وقت يحدده هو.. كنت سأحدده إلي الأبد.. حتي لو مت هنا فلا شك أني سوف أحيا هناك ولكم اتمني أن احي هناك!.. ودعنا من الغزل مرة اخري لربما تراني لزج وتتدلي مني المشاعر المفرطة ولكني لن أضيع الوقت لأشرح لك أني لست كذلك.. كانت البداية في ذاك اليوم...

«الأن يخيم على المكان الظلام والمكان هو غرفتي، وتصمت كل الأصوات الا اصوات الأنفاس والأنفاس هي انفاسي، يغمرني العرق.. اتقلب في الفراش وابتلع ريقي بصعوبة، اشعر بالبرودة» شهقت ونهضت منتفضا، وانفاسي متسارعة وملاهثة..! اريد ماء!.. امسكت بالزجاجة وشربت في نهم حتي افقت من ذلك الكابوس.. كان كابوس شنيع!!.. حمدا لله أنني استيقظت

يقولون أن الحلم هو بالفعل ما يحدث في عالم موازي؟!

ولكن كيف أقتنع أن هناك عالم ما به وحشا عبارة عن حذاء ضخم بأطراف صرصور؟!!.. هذا حتي وحشا لا يليق ولكني لن اسخر منه طبعاً بعدما نهضت من النوم مفزوعا بعدما نجوت منه في اخر لحظة كان يريد أن يسحقني؟!

اشعلت ال(سبرتاية) نعم ليس الزمن في هذه القصة هو الماضي.. وعندي طبعاً البوتاجاز ولكني احب احتساء القهوة الناضجة علي نار(السبرتاية)، مجرد مزاج ..

ولكن دعك من هذا لا يهم علي كل حال.. لربما لا تحب الثرثارين كأمثالي ولكن اعذرني ارجوك فنادرا ما اجد من اتحدث اليه ويفتح صدره ..

قفزت في ملابسي العادية.. بنطلون جينز و تي شيرت أبيض اسفل قميص مقلم باللونين الأبيض والأسود فوقه صدرية.. ونظمت شعري المتبعثر النصف مجعد والنصف ناعم، مثل بشرتي النصف بيضاء والنصف سمراء.. هي عبارة عن (شاي بلبن) لو اردنا الوصف بعبارة موجزة.

وذهبت مسرعا لأني كالعادة-متأخر- إلي العمل والذي أنا ما زلت به مستجدا لأن ايضا ما زلت حديث التخرج، ولكني كسابق عهدي في الجامعة أتأخر دوما.. ادعو لي أن لا ارفد من فضلك.. قفزت من عربة للأخرة، من الميكروباص إلي اوتوبيس النقل العام... ثم أني الأن اجفف عرقي المتجمع فوق جبهتي امام مكتب

(أستاذ رفعت).. مديري وجه البومة.. وادفع الباب ببطيء وقدماي تحولا إلي اقدام هلامية لا تجيد شيئا غير الارتجاج.!،

كان يبدو في مزاج سيء حين سمح لي بالدخول، وانتظرت حتي ينهي مكالمته الهاتفية.. كان حليق الذقن ولكنه تارك الشارب لمزيدا من الوقار والشر!.. يلتف بالكرسي مثل هؤلاء الرؤساء الساديين في الأفلام الأجنبية، يمسك بكوب القهوة بيد.. والسيجارة تتدلي من بين شفتاه فيعتصرها بعنف.. ثم يعتصر دخانها وينفخه في هدوء.. انتهي ثم أبتسم لي في شر اعرفه جيدا.. الشر المتنكر في زي ملاك!.. ولكن هيهات، في النهاية صرخ بوجهي وتناثر لعابه في الهواء وقال بأنني مخصوم مني يومان، وحذار.. وكررها مرة اخري حذار.. أن أتأخر ثانية، والا فأنا اعبث بعداد مستقبلي وانا حديث عهدي ولكنه من كرمه سيمهلني فرصة مجددا..

وخرجت وكعادة بعض الأشخاص في ذلك الموقف كنت أسبه والعنه .. أن اليوم غير مشرق علي الأطلاق ذلك الواضح من بدايته كما الكتاب يوضح من عنوانه.. أستيقظ من كابوس شنيع وها هنا مدير سادي مجنون، يتمتع بتعذيب موظفيه نفسيا.. ووجدت جدران عقلي تطرق!..؟، هناك فكرة ما.. وسمحت لها بالدخول، كان ذلك الكابوس مازال عالق بذاكرتي.. ما زلت اتذكر

ذلك الوحش.. الحذاء ذات اطراف صرصور.. هل تتذكره؟.. ما زلت حتي اذكر لون رباطه البني الأنيق!

وراودتني افكار كثيرة.. عن الأحلام والعوالم الموازية كما يقولون ولكني لا اصدق ذلك الكلام طبعاً.. لأنه جنون.

وإن كان هناك عالم يمتلك وحشا كهذا.. فحمدا لله علي عالمي.. علي الأقل الوحوش به ذو هيبة... لا ارجوك لا تذكرني بأنه كان سيسحقني!.

هنا هززت رأسي وافقت من خيالاتي..

ماذا لو كان بمقدور الإنسان التحكم بأحلامه؟.

وهل هذا السؤال يحتاج انتظار؟ بالتأكيد سيفعل كل ما يحلوا له.. كل ما يتمناه.. كل ما هو ممنوع.. كل ما هو مجنون.. كل ما هو خارق!.. ولكن مهلا، أننا في عصر التكنولوجيا.. وهل التكنولوجيا تعجز عن مساعدتي؟! ... تلك الالة السحرية. إن بحثت عن اي شيء بها مهما كان غريب ستجد نتائج عنه وعن أناس مهتمون بنفس ما تهتم مهما كان نادرا.. وإن الفكرة لا بأس بها في الحقيقة.. ولن اخسر شيء أبداً.. مجرد بحث.. بحث فقط عن:

(كيفية التحكم في الأحلام؟)

وها هو ذا.. تلك الفيديوهات العديدة المطمئنة بأن ما تبحث عنه متوفر.. وشرعت في الضغط وتناول الفيديو الأول ثم الثاني ثم الثالث.. إلي أن اصابني الملل والفتور ووجدت معي ورقة مكتوب عليها ملخص ما شاهدته من هؤلاء مدعون المعرفة في علم الأحلام وعلماء فلك ومنومون بالإيحاء.. أنهم اجتمعوا علي بعض النقاط التي سجلتها منها كتابة سناريو الحلم قبل النوم..

ولكني نظرت للورقة وقلت ما ذلك الهراء الذي انا فيه؟ ومزقت الورقة والقيت بها في القمامة..

وانا عائد إلي المنزل في وقت غروب الشمس،.. والعالم ينطفئ تدريجياً... وتسقط الشمس في مصيدة القمر.. او تنام الشمس ويصحو القمر.. لا يهم اي التعبيران يريحانك اكثر.. وتبعث عواميد النور الإضاءة المطمئنة، المريحة قبل حلول الظلام وتغدو مريبة، مخيفة، وسط الفراغ توحي بمجرم هنا او هناك.. سفاحا أم لص، يمسك بك وحيدا والله أعلم كيف سيكون.. مكان مثل.. مكان تماماً كهذا الذي أعبر منه الأن و...

كررراش!!

✧✧✧

أين انا؟؟

أرفع جفناي الثقيلين، لتضح لي الرؤية ببطيء.. في ثمالة وفي ارهاق بالغ.. ستار سوداء تنفتح علي وجه ملائكي!.

عينان عسليتان يفيضان بالحنان..أنف دقيق.. وشفاه كالفراولة.. تلك الملامح تنظر لي بحنان وشفقة ورئفة.. هل أنا مت وتلك الجنة أم ماذا؟.. وتلك التي تستقبلني.. ترتدي الأبيض في الأبيض.. فستان أبيض، وحذاء يشبه حذاء (سندريلا) لونه أبيض..

تمسح بيدها علي جبيني واصابتني قشعريرة نتيجة أن اول يد أنثوية رقيقة تلمس جبهتي بذلك الحنان بعد أمي العزيزة.. وتقول لي بنبرة صوتها الرقيق.:

ـــهل أنت بخير؟

ولو لم أكن بخير يا ملاكي.. حتما سأكون بخير، طالما كنت بين يداك... حتي وإن كنت أنزف جميع دمائي وأجف كعنزة صغيرة اصابها الجفاف المميت في

الصحراء.. ولكني لست بعنزة يا ملاكي.. انا لست بعنزة.

ابتسمت وأخذت تضحك على كلماتي، ثم قالت أنهض وكف عن ذلك اللهو، فنهضت وشعرت بدوار بسيط في رأسي وبألم مكان الضربة التي انهالت على رأسي.

وقلت:

ـــانه مجرم لعين!، أخذ حقيبتي التي ليس بها اشياء مهمة علي الأطلاق وفر هاربا.. علي العموم هذا خطأي لأني أمشي في مثل تلك الأزقة الخطرة في وقت متأخر..

ضحكت وملامح وجهها تقول: "ماذا يقول هذا المعتوه"؟!

ثم مدت يديها مصافحة، وكانت أقل مني طولا..

مرحبا، أسمي (ليسا)

كان الاسم غريب نوعا ولكنه معقول، قريب لأسم "اليسا" الا انه من دون حرف الف يسبقه.. لا بأس

اخبرتها بإسمي (نور)..وأعجبها وقالت أنه جميل ولا يوجد في الكون ما هو اجمل من عيناها.. احم هل من الواضح

انني مرهف المشاعر أكثر من اللازم؟

سألتها بكياسة: "أين انا؟"..

فأجابت مندهشة من ذلك السؤال الأبلة

ـــ"أنت هنا في العالم ال.. "

قبل أن تكمل سبقتها وقلت :

ـــ"نعم.. نعم.. انا في العالم، اعلم بالتأكيد ذلك"

"ولكن أقصد أين انا تحديدا من ذلك العالم ايتها الشقية؟ "

"هذا المكان لا يشبه القاهرة "

ظهرت علي وجهها علامات الاستفهام العديدة، وقالت مستفهمة:

ـــ"ما هي القاهرة "!؟

هنا شعرت بذلك الشعور البارد.. أتعرفه؟.. الشعور الذي ينكب علي رأسك كالماء البارد ليقول لك أستيقظ أيها الأبله!.. قلت بهلع

ـــ" هل أنا اختطفت وتم نقلي ألي بلد أخر؟؟! "

أتضح علي وجهها علامات الفهم.. وقالت في وجوم، لا بل الواضح أنك أتي من ال..

ثم صاحت:

ـــــ" أحذر! "

أحذر من ما ذا؟!.. سرعان ما وصلتني الإجابة وأنا ألف رأسي حتي شعرت بضربة انهالت علي رأسي.! مري اخري.. جعلت ذلك الستار الأسود يسقط مجددا وهو يعلن عن نهاية العرض.. علي ذات المشهد عيناها العسليتين الساحرتين وهي تقول..

"أكتبني!.. أكتبني!.. أكتبني.. أكتبني.. أكتبني"

ولكن ما معني هذا؟!

لم اجد الوقت أن أفهم شيئا.. فقد كان سقط الستار الأسود تماماً. . وكنت أشعر بضربات قلبي المهرولة.. وإن قلبي يضخ دمائه بعنف.. أين انا وسط ذلك الظلام الدامس..؟

هأنا ذا احاول رفع جفناي ولكن ثقيلان جداً!.. اشعر أني علي باب فجوة سوداء مريبة.. احاول جاهدا أن أخرج

منها وأستيقظ ولكن هناك قوة خفية تسحبني للخلف، انا اعلم أنه حلم واريد الاستيقاظ الأن!!..

«تلك اللحظة ما بين الخيال والحقيقة.. ما بين الحلم واليقظة»

وهاا.. انتفضت!.. اخذت نفسا عميقا من الأكسجين أملئ به رئتاي كالظمئان الذي وجد الماء أخيرا، عندما يهجم علي الماء ويشرب بعنف ولا يرتوي.. تلك اللذة في الارتواء.. هكذا استيقظت وتذكرت الكلمة كانت تتردد في رأسي (أكتبني!)

ولكن ما معناها؟؟؟! أسمها.. اسمها هو، (إليسا)؟.. لا بل (سليسا)؟.. (ليسا)؟.. نعم هو (ليسا) هو كذلك..

✧✧✧

في اليوم الأخر..

في محاولة لترتيب الأفكار في عقلي، شرعت أتذكر ما حدث ليلة أمس وفي يدي كوب القهوة الزائدة، فأنا لا احبها وهي سادة كالحبر، سوداء كالظلام ولا داعي للفلسفة علي كل حال.. مازالت أثر الضربة التي هوت علي رأسي وكادت تهشمها، ما زلت أشعر بها.. مازالت تؤلمني، اذن كيف كان حلم؟..

وإن كان حلم.. هل نمت اليوم بأكمله؟!.. مستحيل التقويم في النتيجة يقول أن اليوم هو يوما جديدا، اذن كيف ومتي نمت؟.. عندما هوت الضربة علي رأسي في الشارع.. اذن كيف استيقظت بفراشي؟؟!.. كدت أجن ولكن أفضل حل لتتخطي مشكلة عويصة، او امر أنت عاجز عن تحليله او معرفة حقيقته، هي الا تفكر به اصلا،..

وسرعان ما سيتلاشى اثره من رأسي وأثر الحلم المريب ايضاً.. وهكذا كنت في العمل اليوم متأخرا- كالعادة-رغم نواياي الحسنة في الانضباط .. ولكن (أستاذ رفعت) لم يعبأ بحرف واحد من الذي أقوله انا.. واخذ في توبيخي بأسلوبه المريب الذي يشبه رجال البوليس الملعونين الذي يعانون من السادية ولكنهم

يبدون بشكل ملاك، هم يعذبونك نفسيا.. وهكذا تم خصم مني يومين أخريين وأنهي الحديث بأن لو أفتضح أمري.. وهو أني أتعاطى المخدرات!؟.. سوف أطرد ككلب خارج الشركة وهذا طبعاً حقهم.. إن الجميع ظن بي الظنون!..

كثيراً ما شاهدت ذلك المشهد في السينما، أنت أنسان عادي ثم تقع علي رأسك مصيبة او يحدث لك امر عجيب، او انت بالذات تكون سعيد الحظ الذي يتعرف علي أمور ما ورائية، واشخاص من كواكب اخري.. ولن يصدقك احدا.. سيظنون جميعا أنك مجنون ويجب الألقاء بك في أقرب مصحة قبل أن ترقد وراء الأطفال بعصا خشبية في الشارع!.. ربما في النهاية تغدو بطلا في قصة ما..- ولكننا لسنا في فيلم تذكر ذلك جيدا-ربما تغدو مجنون.. مجنون فقط..

جميعهم عندما يستمع للقصة، ينظر في وجوم ويمص شفتيه ويخرج الأصوات.. امم. اامم.. اامممم!!.

لكي يبرهن لك علي أنه في غاية الاهتمام والإصغاء إلي حديثك ثم يتنهد طويلا.. ويقول وهو يربط علي كتفك في شفقة:

"كل تلك هي هلوسة، مجرد حلم.. لا تشغل بالك "

دائماً لا احد يفهم، ولكني لا أملك حلول غير ذلك، التخطي والنسيان.. الأن لن أشغل بالا بأي خرافات مما حدثت بالأمس..

ولكن ما معني اكتبني!!؟..

علي الكرسي جلست التف يمينا ويسارا، ماط شفتي، وأنظر لورقة بتركيز بالغ، وادعي أني افكر في أهم الأمور بينما عقلي فارغ تماماً.. كلما أمسكت بفكرة تنزلق.. ثم أجد في يدي فكرة اخري.. تنزلق سرعان ما أمسك بها.. لتأتي أخري وهكذا.. الورقة مكتوب عليها جميع ما استنتجته..

واضطررت لأخذ قرص منوم بعدما بات النوم مستحيلا..

ولكن قبل النوم يجب القليل من تصفح الأنترنت، وجدت فيديو بعنوان..(تحكم بأحلامك بسهولة.. أكتبها)

جلست علي المكتب، وأخرجت ورقة وقلم.. وبدأت أكتب علي سبيل التجربة، لن أخسر شيئا..

ثم بحثت عن الورقة السابقة، المكتوب عليها

(أسمها (ليسا).. قالت لي أكتبني!) حسنا اريد مقابلة، ليسا مجددا.. لا أعلم لماذا أنا مهتم بالأمر، ولكنه ذلك الشعور الغامض الذي يحثك علي اكتشاف الجُحر المريب، فتبرز منه رأس ثعبان ثائر ويلدغ يداك!.. لتطفلك الأكثر من اللازم.

رأسي أصبحت بحجم طن، وهكذا جفوني تنزلق، حتي فقدت القدرة علي التحكم بهما، وأخذت تلك اليد المريبة سحبي داخل تلك الفجوة ..

الذوبان في الظلام!.. هكذا اشعر إني ارتج!.. ارتج!.. وكأنني في سيارة ما!.. ثم اغفو. و. و.. وأذوب.

يندلع الستار الأسود من علي عيناي، ببطء كعادته.

ماذا هناك!؟..

أنها هي!.. صرخت بها وأنا ما زلت علي الأرض ملقي ككيس بلاستيكي ألقت به الرياح..

هاااااي.. هاااااي (لييييسا) ..

(ليسسسسسا)!!.. ردي أيتها الحمقاء!

أتت نحوي ترقد كطفلة ثم جثت علي ركبتيها وقالت، كنت أعرف أنك قادم... لي!.

ـــــ"من أنتِ"؟

ـــــ"المفترض أن يكون هذا سؤالي انا؟!.. من أنت وكيف جئت إلي هنا "

ـــــ"أنا حقا لا أعلم ارجوك أخبريني أين نحن!.. لسبب ما وشعور ما يعبث داخلي، جعلني أخضع لكي وأجيئ أليك في ذلك المكان.. واريد أن أفهم كل شيء"

نظرت إلي عيناي وبابتسامة قالت:

ـــــ" نحن في العالم 122"!

ولم تعطيني فرصة للدهشة او الصدمة، حيث سرعان ما شرعت تقول..

ـــــ"إن ذلك العالم في أحلامك.. هذا هو عالم أحلامك

ألم تسمع من قبل إن حلمك يكون في عالم اخر موازيا لعلمك؟؟

ـــــ"تبا!.. هل كانت تلك الخرافات حقيقية "

من أول ما رأيتك وأنا أدركت أنك قادم من هناك.. حيث كان هناك من سبقك وأتي إلي ها هنا.. ولذلك أنا أعلم القليل في الانتقال والتواصل بين العوالم، ولكن أقل معلومة اعرفها جيدا.. هي إن ما تكتبه قبل النوم وتفكر

فيه.. بنسبة كبيرة سيتحقق، ولذلك احضرتك إلي هنا.. كنت فقط أريد رؤيتك "

وكانت تلك النظرة تلمع في عينها.. بريق مميز فعلاً لا يمس لكوكبنا بصلة.. قالت أننا متشابهون جداً.. وقالت طالما أني عرفت الطريقة يمكنني المجيئ في أي ليلة أريد، ولكن يجب اخبارها اولا.. لكي تكون في انتظاري.

كانت عينيها عجيبة ايضاً، فقط شعرت بنفسي فجأة، أغرق!.. اغرق فيها.

✧✧✧

اغرق في العرق!.. اتقلب علي الفراش.. !..

نهضت ونظرت حولي، كان كل شيء مألوفا، هذه هي غرفتي.. ارتديت ملابسي وهرعت للعمل لتجنب التوبيخ من (الأستاذ رفعت) المجنون.. وانا أفكر ولا أكف عن التفكير، تلك الأحلام مختلفة!.. أشعر بها جداً، أدراكي بها عال جداً!، كيف تكون أحلام؟؟. ولكنها احلام وليست شيء أخر بالفعل، ولكن ريبتها تجعل العقل يفكر بعض الشيء..

_"ولكن لا تكترث ما هي الا أحلاااام. "

بذلك الصوت الهامس الرقيق.. صوت (ليسا)..

(ليسا) من عالم أحلامي..

«كلما تعيش، كلما تري فعلاً.. لا تنتهي العجائب عند حد أبداً»

ذلك ما اتعلمه كل يوم..

اليوم يمر بطيئا، كئيبا، مشمسا، متعبا.. وأتمني ان يمر سريعا، اريد الليل، والهدوء والحلم، و(ليسا)..

كان اول عناق في حياتي، عناق أطفئ غابات روحي الهالكة..

الضحكات اللطيفة الرقيقة، علي وجه (ليسا)، ولا اعلم كيف كانت علي وجهي انا ولكن أتمني الا أكون بشع جداً، كانت الشمس في عالمهم- او عالم احلامي- بلون يميل للقرمزي، وهذا، كان يعطي السماء شكلا رائعا.. الفراشات ايضا الزرقاء المشعة كانت مدهشة.. وكنا نداعبهم..

هكذا مرت فترة لم تكن طويلة ولكنها كانت كفيلة لمعرفة، (ليسا) بشكل افضل.. خاصة إني اشعر بكل شيء طبيعيا إلي حد كبير، لمست يدها.. ضوء القمر، الفراشات.. لمسات اقدامي علي العشب.. والصوت واضح جداً رغم أن عادة تكون احلامي صماء.. جميعها يكاد يكون حقيقي جداً. ربما لأنها ليست كأي احلام؟

كان ذلك المكان، في مكان يشبه التل، ولكنه ليس صحراوي، انه عشبي رائع عندما يكون مقابل وجه القمر، وكأن القمر ينظر لك أنت فقط ويكلمك.. ولفت

نظري وجود بيت بعيد وعلي شرفته ظل شخص ما ولكني لم أبالي.

في كل مرة أستيقظ هنا أنسي ولا أتذكر أن أسأل (ليسا) ذلك السؤال من قبل... ذكرني أن أسألها عن ذلك ولا تنسي.. وهكذا بدأت في شرود الذهن كعادتي أمام القمر غريب اللون.. حتي لمعة عيناه من بعيد في غضب او في كره لا أعلم جيدا كنينة الشعور الذي بداخله، ولكنه ضخم شرس، احمر العينين، ذو أنياب.. يا إلهي أنه ذئب!!..

لقد انتصاب شعر رأسي وتجمد اللعاب بحلقي!.

انا.. انا لم اتوقع أبداً، ان أقابل ذئب وجها لوجه في يوم ما!؟..

اعتقد أن ذلك الذئب عادي، يشبه الذئاب عندنا.

الحقيقة أني فكرت للحظة بأن أهرب، واستيقظ الأن!

ولكن لا يجدي نفعا.. وغير ذلك، حاولت تمالك اعصابي

إن ذلك حلم، عالم اخر، ولكن تعيش به حبيبتي.. نعم انا لم اصارحها بذلك حتي الان .. ولكن نعم هي كذلك،

وحتي لو هذا ليس عالمي وحتي وإن كنت أحلم سأنقذها. برغم أنها قالت لي من قبل تلك الجملة المرعبة «إن مت هنا ستموت في الحقيقة!»..

ولكن لا.. انه اقترب جدا! !ً..

كان الرعب بادي علي وجهها، ولأول مرة اراها تنظر لي مثل الغريق الذي ينتظر طوق النجاة.. حتي تتنفس وتطلق سراح انفاسها المحبوسة من الخوف... ولكن لا تقلقي يا عزيزتي.. نحن الأثنان في مركب واحدة، سنغرق ونموت سويا.. او سأنقذك.. سنموت معا.. او سوف نحيا معا.

ادعي فقط الا استيقظ الان! .. ارجو الا استيقظ الان!!

أن اكون بين انياب ذلك الوحش الجائع خيراً وأهون على من أن أكون في نظرها جبان!.

أخذ خيالي ايضا يسافر ويعرض لي ما سيحدث؛ لن أستطيع الوقوف امامه وجميع محاولاتي هي هراء، سيمزقني امامها.. وستكون هيا تبكي!.. لا تبكي فدموعك تحرقني يا (ليسا).. رائحتي في الشقة لن تطاق بعدما تعفنت جثتي وتحللت علي السرير نائمة وسيقولون في حزن انه كان لا يزال صغيرا!.. و...

انه امامنا..! !

هكذا يعمل هرمون البقاء في جسد الإنسان- او اي كائن عموما- بدأت ارتعش من فرط القوة التي ملئت جسدي من فرط هرمون (الأدرنالين) وطالما هكذا ميت..
وهكذا ميت، نظرت له في عينيه نظرة حادة ثاقبة، مليئة بالرعب طبعاً الذي تحول لدفاع عن البقاء وعن الحبيب، اخرجت قداحتي من جيبي في جزء من الثانية-لحسن الحظ أن تلك الاشياء تنتقل معي في عالم الاحلام- ثم قطعت قطعة قماش من فستان (ليسا) وأشعلت به النيران التي اخذت تترقرق في عينين الذئب الشرس.. وشعرت بالرعب يقترب من قلبه كلما تتوهج النار اكثر، انه يهابها!

في الأرض وجدت سكينا-لحسن الحظ- فأمسكته بيدين من حديد ترتعشان في ذات الوقت، والقيت عليه قطعة القماش التي تحترق وتتوهج بالنيران والتي اقتربت من الانتهاء، ثم وثبت عليه بطعنة!.. لم تسمع(ليسا) غير عواءه.. عواءه وهو ينتهي.. ولكنه جرح ساعدي أبن العاهرة!

حسنا لا يهم... المهم انك بخير..

ولكن أشعر بأني اشعر اني اغفو. و. و

اغوص في الفجوة السوداء، اتقلب في الفراش، ..
واغرق في العرق.. انتفضت وأنا التهم اكبر كم من الأكسجين.

وذهبت لأكتب ما حدث،.. تلك الآونة انا لا اضيع حلما دون كتابته، لا اعلم ما الهدف الرئيسي من ذلك ولكنه ذلك الحدس الغامض الذي يأمرك بفعل شيء، غالبا يكون في صالحك.. وعندما يحثك علي الابتعاد يجب ان تبتعد لمصلحتك.. انها الحاسة السادسة

هكذا انتهيت من كتابة ما حدث حتي لا انساه، يا تري كيف حال(ليسا) الأن ؟ اتمني مرور اليوم سريعا حتي أطمئن عليها، ولكن ما هذا؟؟!.. لماذا هذا الجرح في ساعدي ؟! ومن الذي ضمده بالشاش والقطن؟!.

✧✧✧

كان الجرح في ساعدي حقيقي جداً!.. ولكم عجبت لذلك غريب أن يستيقظ المرء مجروحا نتيجة مصارعة ذئب في الحلم!.. والأغرب أن يكون هنالك من ضمده!..

حتي أنا كشفت عليه عند طبيب وأخذت دواء حتي لا اصاب بالسعار..

ولكني تخطيت الأمر...الأن يوم جديد، أشعر بالإرهاق، القهوة.. السيجارة.. ثم ذهبت مسرعا للعمل.. ولعل ذلك اليوم ينتهي سريعا..

في المساء كنت أتأهب للغط في نوم عميق، تلك الأيام السابقة كان النوم فيها مرهق، وكأنها حقيقية.. ولذلك هي نعمة أن تنام ولا تري غير الظلام لتحظي بالاسترخاء ..

برغم إني اصبحت معروفا في عالم الأحلام.. ألا أني متعب جداً هنا.. وهذا ستعرفه بمجرد النظر لعيناي الحمراوان والهالات السوداء تحتهما، هكذا القيت بنفسي علي الفراش عساي أغرق..

وبدأ يسقط ذلك الستار الأسود.

وها هو يرتفع ببطء ليكشف عن عينيها.. رأسي معبئ بالأسئلة، ذكرني أنا أسألها اياها ارجوك.. ولأول مرة، قلبي ينتعش بدقات قلب اخر.. وجدتها فجأة بين ذراعاي!. تعانقني!، قلبها يضخ الروح لقلبي.. بالطبع تصلبت من تلك التجربة الغريبة وانصهرت اذني..

"ولكنه مجرد حلللللم "

بصوتها الذي يهمس في اذني ويقول:

ـــ"بطلي "!

انتابتني قشعريرة، ورغم أني اري كل ما حولي الا أني نعسان جداً، لقد تبخرت أسئلتي.. وتجمد عقلي.. ولا اريد اي شيء الأن غير أن تبقي معي..

قطع المشهد بالمنتصف وعاد مجددا وكنا نرقص.

أمسك بيدها الصغيرة.. الناعمة كالأطفال، ونرقص تحت ضوء القمر القرمزي تطوف حولنا الفراشات، ولمسات الهواء الباردة تنعشنا..

أمسكت بيدي وتركت نفسي معها، حتي وجدت نفسي في غرفتي، وها هو سريري!.. انا ما زلت نائم بالفراش!

اقتربت من لمسي وانا نائم في فضول الا انها منعتني محذرة بألا افعل.. ثم عدنا، وحقيقة انه أحساس غريب أن تقف امام نفسك النائمة!.. ولكن مازلنا نتعلم كل يوم..

هنا أمسكت بيدي وانا صارحتها بحبي لها، نعم أنت في أحلامي.. ولكن هذا ما حدث، انا مستعد أن اموت في عالمي مقابل الحياة معك..

قالت لي:

ـــ"ستفعل لي أي شيء؟ "

ـــاي شيء..

ـــ اذن ستكون معي للأبد؟..

ـــ"للأبد."

«اصوات الأنفاس والأنفاس هي انفاسي، يغمرني العرق.. اتقلب في الفراش وابتلع ريقي بصعوبة، اشعر بالبرودة وشعور اخر غريب غي قادر علي تحديد كنته الأن!.. هل هو خوف؟. ام هو قلق؟. ام ماذا؟

لا اعلم ولا اشعر الا بدقات قلبي المهرولة.. وبأن قلبي يضخ دمائه بعنف حتي اوشك أن يقف!. ولكن ما اعلمه أن اي كان هو، فهو لا يهم. لأنني الأن في تلك اللحظة ما بين الخيال والحقيقة.. ما بين الحلم واليقظة ..ما بين عالمي وعالم اخر ما بين الافاقة والقوة المريبة التي تسحبني للخلف!.. داخل الفجوة السوداء التي لا تبشر بما في داخلها. هل شر ام خير.. حلم جميل ام كابوس بشع، ايضاً لا اعلم تلك اللحظة هي اللحظة التي اعود فيها إلى العالم ولكن ما اشعر به فعلاً هو اني لا اريد العودة، اريد ترك تلك اليد تسحبني ولكن جسدي يرفض.. انا لا اريد العودة اريد ان ابقي معك.. معك للأبد!»..

شهقت وفتحت عيناي وانفاسي متلاحقة والهث في ظلام غرفتي، هكذا مددت يدي إلي زجاجة المياه البلاستيكية بجانبي علي الكومودينو بجوار الأباجورة

تماماً التي تبعث ضوء اصفرا واهنا لا يضيء الا زجاجة المياه واخذت فاتحا حنجرتي واشرب المياه بنهم، حتي سرعان ما سقط نص لتر ونص الزجاجة في معدتي، واندفعت المياه من شدقاي لتبلل بجامتي لبانية اللون... وما زلت الهث!

اهدء.. اهدء.. اهدء

✧✧✧

لماذا لم أبحث وراء موضع الاحلام في العالم الموازي ذلك وراء ليسا؟.. لماذا لم انتبه إلي اشياء كثيرة لا يصدقها عقل؟.. ما هو نهاية الحب بيننا؟؟!

كانت في رأسي شكوك وانتظرت حتي أتأكد منها..

الذوبان في الظلام.. الفجوة السوداء.. اغرق.. اغرق!

ارتج!.. ارتج! .. وكأني بداخل سيارة!.

ارتفع الستار مجددا.. أمسكت بذراعها بقوة فتألمت.. يا لها من هشة كقطعة بسكويت.. اعتذرت منها وقلت أني تحمست فقط كانت انا‌ملي تركت اثرها علي ذراعها..

قالت:

ـــ"ستفعل لي أي شيء، أي شيء؟"

ـــــ"نعم "

ـــــ" اريد الانتقال لعالمكم، كي أكون معك دوما.. ولكن ذلك يحتاج إلي مساعدتك.. هل ستفعل أي شيء اطلبه منك؟ "

ـــــ"لعلي استطيع... سأبذل قصار جهدي علي كل حال "

✧✧✧

أنظر معي.. هذا وريدي الذي يبدو محترقا هناك هالة زرقاء مطبوعة عليه وكأني كنت أتعاطى مخدر ما باستمرار؟!، هذا مكعب ثلج صغير علي الكومودينو لا أذكر بأني من وضعته هنا؟.. كل هذا يجعلني اشك وأكاد أتأكد بأني شخصيتين.. وعندي شخصية أخري هي منحرفة علي الأرجح وتتعاطي شيء ما.. ولكن لا.. لقد تغير رأي بعدما وجدت هذه.. أتراها معي؟.. انها بعض الشعرات المتشابكة التي أعرفها جيدا أنها شعرات (ليسا)!

عقلي يكتظ بالأفكار و يكاد ينفجر .. في تلك الليلة عندما ذهبت لعالم أحلامي أو لعالم (ليسا)، وجدت إن اثار أناملي ما زلت تاركة أثر علي جسدها!..

هكذا كانت الطريقة الوحيدة لمعرفة ما يجري، هي أني قمت بتركيب كاميرات المراقبة الخفية، صغيرة الحجم صعب أيجادها.. هناك واحدة بالمدخل ايضاً، وهكذا المخفي ستكشفه الأيام قريبا..

✧✧✧

هكذا رأسي معبئة بالأفكار العديدة.. اشعر بالإرهاق كأني لا انام كفاية، رغم أني غارق في الاحلام..

فكنت كالمنوم مغناطيسيا، أنظر نظرة فارغة، باردة (للأستاذ رفعت) الذي مل مني ومللت انا منه وأصبحت علي مشارف الرفد من عملي..

اعبر طريق السيارات السريعة بساقين ترتجفان وتعبر بينهما الهواء، الجسد الذي أصبح واهن فجأة وهش.. شعور يشبه الإنفلونزا يداهمني ولكنه ليس إنفلونزا..

أخر ما رأيت كانت تلك الفتاة تركب سياراتها السوداء، متجها نحوي وعلي وجهها علامات الهلع والخوف..

لم تجد الوقت للتوقف والنزول لتوبيخ ذلك الأخرق الذي يقف امام سياراتها ويريد الموت... بينما في تلك اللحظة انا سأسقط ارضا في حالة اغماء ولكن هي سبقتها وأخر ما رأيته، عيناها العسليتان الساحرتان!

ـــــ اصطدام!!!؟

أين أنا؟.. ما زلت في الظلام لم أستيقظ بعد.. ولا في الحقيقة ولا في الحلم.. هل مت أم ماذا؟.. أي شخص اخر كان حتما سيصاب بالذعر، ولكني معتاد علي ذلك..

ها قد بدء الضوء الضبابي يخترق الظلام الدامس ويحرق مقلتاي الملتهبة، فأضع كفي علي وجهي مانع الضوء من الوصول، ها هي بفستانها الأبيض .. لا يوجد صوت؟.. هذا الحلم كأحلام سابق عهدي، حلم أصم، ولكن ما الذي يفعله (أستاذ رفعت) هنا؟.. غريب ذلك الحلم..

رأيته يتقدم نحوي ويريد سحقي!.. فتحاملت علي نفسي وأطلقت قدماي للريح هاربا منه.. انه الحذاء المجنون الذي يمتلك أطراف صرصور!.. الصورة بالكامل

ضبابية وذلك الحلم عجيب.. أتمني الاستيقاظ الان، لا اتذكر حتي أين انا.. لقد وصلت نهاية التل وها أنا أسقط من الأعلى!!

اااااااااااااااااااااااه

انتفضت في الفراش وقلبي يضخ بجنون، أتنهد وأتنفس بعنف وأبحث عن الماء..

هنا شيء ما معلق بوريدي.. انه (كانيولا)، ادركت الأن أني في فراش المستشفى وفي الظلام الكئيب شرعت في النهوض بجسد محطم الا أني فشلت في ذلك، وجدت زر بجانب السرير علي الحائط فضغطت عليه، فدلفت ممرضة تتثاءب وعلي وجهها علامات النعاس، كأني أيقظتها من نومها، إلي عندي، سألتها بصوت متقطع يخرج بصعوبة من حلقي:

ـــ"أين انا؟. ما.. ماذا حدث؟. من أحضرني إلي هنا "

أخبرتني بأن أصمت حتي لا أجهد نفسي، لقد تعرضت لحادث بالأمس، سيارة صدمتني وصاحبة السيارة هي من احضرتني إلي هنا.. الوقت الأن اقتربنا من بزوغ الفجر.

نزعت المحلول الذي فرغ تماماً في وريدي..
وباستخدام الجهاز الذي يشبه المسدس عرفت درجة حرارتي، وقاست لي ضغطي ثم أخبرتني أني لحسن الحظ بحالة جيدة، ولكني سأبقي هنا يومين او ثلاثة..
ثم ذهبت وأطفئت الضوء مجددا وارتخيت أنا وذهبت عيناي تنظران تتأملان في السقف وبدء شعور الملل يتسرب إلي خاصة إني ملول في العادة.. ولكن الأفكار بعقلي لم تجعل مكان للملل، فكنت افكر و افكر حتي سقط الستار الأسود مجددا معلنا عن عرضا جديدا..

✧✧✧

كانت ترتدي بنطلون جينز و بلوزة ونظارة شمسية، تلك الملابس من عالمنا.. أسمها هو(اسيل) وأقسم انها هي ذات الملامح وذات البريق في عيناها العسليتان الساحرتان!.. الا انها تنكر كلما حاولت ذكر اي شيء عن(ليسا) ولكن فهمت!.. في العالم الموازي هناك نسخة طبق الأصل منك، اذن انا وجدت بالصدفة نسخة (ليسا) في عالمي!، وربما تكون هي نفسها استطاعت الانتقال لعندي كما كانت تريد إلي هنا، ولكن لما لا تتذكرني؟.. أعتقد ان الانتقال بين العوالم لا يمحو الذكريات!..

لقد قابلتها وكانت راقية لم توبخني وتلعنني علي ما اوقعتها به، كانت عندها ما يكفي من الوقت حتي تبطئ حركة السيارة فيغدو الارتطام أقل ما يمكن، لقد كنت سأسقط حتما اذا كانت صدمتني سيارتها او حتي لم تفعل.. ولكني لا اؤمن بالصدفة المطلقة.. بالتأكيد هناك غرض من أن تتعثر في طريقي، ويجب أن اكتشفه.. معي بعضا من شعرات (ليسا) التي لم تزورني قط في المستشفى ولم أعد احلم مجددا وكأن كل شيء انتهي فجأة.. فحاولت أخذ شعرة من (أسيل) دون أن تشعر برغم صعوبة الأمر الا أني شبكت أصبعي ببعض الشعرات وحين نهضت لكي تغادر تمزقوا و كانت تاركة في يدي الشعرات، فاعتذرت منها.. وكنت قد مكثت في المستشفى ثلاث ايام وسأرحل اليوم وكل شيء سيكون واضح وضوح الشمس في أقرب وقت..

في طريقي ذهبت لصديق خبير في مجال التحاليل، فأعطيته شعرات الفتاتين، لأن شعرة من الرأس تعرف عن صاحبها الكثير.. اكثر مما هو يعرفه..

دلفت داخل المنزل الذي أصبح كئيبا بالنسبة لي، وقبل حتي أن ابدل ملابسي شرعت في أول شيء أفعله هو مشاهدة الكاميرات.. وكانت الصدمة!!

✧✧✧

تفهم أخيرا (أستاذ رفعت) ما حدث وأخذت أجازه اسبوع اعتقد كافية لأنهاء كل شيء، ..

لاحظت (ليسا) أني علي غير العادة، وإن بي شيء غير طبيعي وبدورها سألتني ببراءة إن كان هناك خطب ما فأخبرتها أنه لا بأس وأني بخير.. لم احدثها عن أمر المستشفى ولا عن(أسيل) نسختها في عالمنا.. كانت وصلتني نتيجة التحاليل الصادمة وهي أن التحليلان نتيجتهما متطابقة تماماً.. وأقسم لي الصديق أن 100% تلك الشعرات من نفس الرأس!،

ذلك البيت الذي يظهر من بعيد هناك لم أقترب منه قط!.

واليوم قررت أن افعل، كان الضوء مشتعلا ويدل الي وجود شخص بالداخل، هنا تركت (ليسا) وهرعت إلي هناك وحاولت هي منعي ولكنها لم تستطيع.. اطلقت قدماي للريح ووجهتي ذلك البيت...

ضربت الباب بقدمي كالمخبرين.!..

كانت غرفة صغيرة، قديمة، متسخة.. وبها تلفزيون صغير.. وجدت شاب يبدو في حالة غير طبيعية.. كان يبدو كأنه مريض عقلي او ما شابه وواضح من عينيه أنه عدواني كان يضم يده أليه ويلف رأسه يمينا ويسار بينما عيناه الثاقبة لا تتركاني وشأني.. سحب سكين من جانبه بسرعة وحاول أن يصيبني!.. ذلك المجنون هو ألة قتل بشرية علي ما يبدو!.. وكان ذلك السكين هو نفسه السكين الذي صارعت به الذئب من قبل؟.. في لحظات وجدته فوقي يحاول تمزيق عنقي بينما انا في وضع الدفاع، أمسك يده وكان قويا جداً للأسف، كانت تصرخ به (ليسا) بأن يتركني وشأني..

هنا تذكرت أن اخرج القداحة من جيبي وأن أحرق يده او وجهه فتركت يد واحدة تعبث في جيبي بينما الأخرى

مازالت تصارع معه ذلك المجنون وتمسك بالسكين بكل قوة... لكن كان الجيب فارغ!.. ولم أجد القداحة،

وانهالت علي وجهي قبضته الأخرى التي اصبحت حرة فملئت الدماء فمي.. وسقط ملتفا كأنبوبة الغاز بضع خطوات علي الأرض الخشبية.. أتململ وأتألم ولكن لا يوجد وقت لذلك الترف!.. بصقت دماء فمي.. لحسن الحظ وجدت نفسي بجانب التلفزيون الصغير فأمسكت به وبغل ضربته به في وجه حتي أخترق وجه الشاشة وهنا صرخت (ليسا):

ـــــ" أخي!!!! "

هدأت بعدما وجدت أنه لن يقوي علي فعل المزيد، كانت دقات قلبي متلاحقة بشكل مجنون ويداي ترتعشان بينما (ليسا) كانت بجانب اخوها المجنون وتنظر لي نظرة انتقام حادة.. وذلك البريق كان يتوهج!.

وأنه لشعور بغيض أن تجد نفسك فجأة عدو من تحب، وأنك بدلا من حمايته كما كنت تفعل أنت الأن مجبر علي تهشيم وجهه لتنجوا بحياتك.. عندما تكتشف الحقيقة..

وعندما تدرك كم كنت أنت مغفل.. كورت قبضتي وقبل أن تصل لي وهي تمسك بالسكين راجية طعني بدافع الغل والكره! وربما الغيظ الذين ملئوا صدرها..
فضربت وجهها بعنف.. كانت ضربة واحدة تقدم فيها عقلي وقبضتي وهرمون البقاء.. بينما تراجع فيها قلبي.. كم أنت ألة ضخ دماء حمقاء يا قلبي اللعين!.

هنا تركتهم وشرعت في البحث عن مواصلات خارج تلك المنطقة.. وفي تلك الأثناء عثرت علي جهاز من هؤلاء الباعثين للضوء.. كان يبعث اللون القرمزي الذي يسود السماء!!.. بالطبع لم أستيقظ تلك المرة.. لأنه لو كان حلم حقا لكنت استيقظت منذ زمن بسبب كمية الأدرنالين تلك

كنت ارقد وأتعثر وأسقط .. والهث وأتنفس عن طريق فمي وكان صدري يحترق!!.. حتي وجدت طريق!..
ولحسن حظي أول سيارة عبرت أمامي توقفت وركبت بها.

وارتميت بالداخل متورم الوجه وخط من الدماء يسيل من جانب فمي.. فأحضر لي الرجل زجاجة مياه وأخذت أشرب وسألني عما حل بي ولكني أخبرته أنهم مجرد قطاع طرق فأخذ يسب فيهم ويلعنهم ثم بدء في سرد

الحكايات عن اقاربه واصدقائه الذين وقعوا في أيد قطاع طرق ولصوص من قبل ولكني لم أصغي لحرف.. كانت كلماته لا تصل إلي مسمعي ولكنها تعبر من جانبي وتطير في الهواء..

هكذا وصلت لأقرب مكان من بيتي في غضون ساعة تقريباً.. وشكرته جداً وسألني إن كنت أحتاج إلي مساعدة ولكني اخبرته إني بخير.. ونصحني بتبليغ الشرطة إن كانوا سرقوني-قطاع الطرق الملاعين-..

صعدت درجات السلم مستندا علي الحائط وأنا أتنهد في تعب، حتي وصلت أمام الباب وولجت المفتاح ثم فتحت مزلاج الباب ودلفت إلي الداخل، ارتميت علي أول كرسي وجدته في وجهي.. ذلك المجنون أستنفذ قوتي.. ارتحت قليلا ودخلت للغرفة فوجدت الفراش فارغ لا يوجد به احد هكذا تأكدت إني لم أكن أحلم!..

✧✧✧

ذهبت إلي مخفر الشرطة.. بالطبع كانوا ينظرون لي بذات النظرة التي تقول بأني معتوه.. فاختصارا للأمر ولكي لا يلقون بي أنا في المصحة أخبرتهم أنه تم اختطافي وأخذوا مني معلومات لفقت بعضها وصدقت في بعضها وبغض النظر عن البرود الذي كانوا فيه أخبرتهم عن ذلك المكان الذي كنت فيه أسيرا.. وأنه

مكان غريب في كل شيء واخبرته بأمر الشاب المجنون-السفاح- في ذلك البيت الصغير..

ولم اعلم هل كان ذلك هو الصواب أم اني تسرعت، ولكن أعصابي كانت متوترة ولا تتحمل احتمالات.. إن استطاعوا الدخول لشقتي وخطفي مرارا، اذن لن يصعب عليهم قتلي!. ولكن الصدمة الأخرى كانت عندما ذهبت برفقة الشرطة إلي هناك ولكن لم.. لم أجد شيء!؟..

كان مجرد تل فارغ وبيت مهجور.. لون السماء لون عادي جداً.. والبيت كأنه مهجورا منذ عقود!..

ـــ"مستحيل! "

قلت ذلك لرجال الشرطة الذين ظنوا إني مجنون او اعبث معهم.. وقالوا مرة اخري سيتم القبض علي أنا، واحدهم نصحني بزيارة طبيب نفسي او الذهاب لمصحة عقلية..

حتي الأصدقاء وانا جالس معهم..الذين منذ مدة طويلة لم نجلس هكذا ولكني كنت محتاج لأحد والا سوف أجن!.

أحرقت الكثير من السجائر وملئت صدري بالسموم حتي كانت الرئة تستغيث، جميعهم ينصحوني بمغادرة الشقة والذهاب لأخري ثم نسيان الأمر تماماً وكأنه لم يحدث!. هناك من اعتقد أنني مجنون حقا.. وهناك من ظن أن الشقة مسكونة وتضج بالعفاريت..

والبعض قال أنه يصدقني ولكن ما هو الذي بأيدينا فعله؟

الجميع اجمع بأن علي أن أنسي وأغادر الشقة.. يظنون أنها بتلك السهولة؟!!... حمقي!

تركتهم وانا منزعج.. وفضلت الحديث مع نفسي او مع الجدران او حتي مع دخان سيجارتي.. فضلت الجنون عن الجلوس مع أناس لا يصدقون ما اقوله ويزعمون أن اصاب عقلي الجنون والخرف بنظرة الشفقة تلك، لأني ما زلت صغيرا يا حزناه..

هكذا ولعلك توقعت لم أحلم بها مجددا.. ذهبت إلي هناك مرارا ولم اجد احد.. كان من بين كل الاحتمالات الاحتمال الأرجح هو أن فعلاً الشقة مسكونة وإن (ليسا) واخوها هما شبحان.. ولكن لا.. تذكرت التحاليل ال

(DNA) عن طريق فحص شعراتها.. كيف تكون شبحا اذن؟!..

كنت بالفعل سأجن وعزمت علي الذهاب لطبيب نفسي ولكن ليس السبب هو جهلي بما حدث.. الحقيقة إني اعرف الحقيقة، ولكني سأذهب لكي اعالج نفسيتي من أثر ذلك.. كنت بالفعل سأجن حتي..

كنت أمشي في الشارع الفارغ وحيدا حتي سمعت صوت كعبيها بإيقاعه الأنثوي.. نظرت للخلف فاتسعت حدقتي عيني عندما وجدتها خلفي (أسيل) تبتسم في ثقة مخيفة واضعة يدها بداخل جيبها وتتجه نحوي وقبل أن أنبث ببنت شفة قالت

ـــ" تعال معي "

ذهبت معها في صمت إلي حديقة فارغة يمكننا التحدث فيها.. تنهدت وقلت بثقة

_"أذن أنتِ هي.. "

ـــ "نعم أنا هي ليسا!"

✧✧✧

النهاية..

وشرعت تسرد الحكاية من أولها.. ولكن قبل أن تبدء هي عندما عدت للبيت بعد ما خرجت من المستشفى، أول شيء فعلته هو إني شاهدت كاميرات المراقبة، فكانت الصدمة عندما وجدت (ليسا) وأخوها يفتحون باب الشقة بمفتاح من (كاميرا المدخل) ثم تابعت من الكاميرات الأخرى عندما تسللوا لغرفة نومي ولكنهم لم يجدوني فذهبوا.. ظل ذلك لغزا يحير عقلي منذ حينها..

فقالت:

ـــــ"أصمت وستعرف كل شيء "

اشعلت السيجارة فطلبت واحدة.. ياا لقد تغيرتِ كثيراً يا ملاكي ولكن من قال إن الجمال دليل على النقاء؟.. أعطيتها سيجارة وأشعلتها لها وسحبت سمومها من بين شفتاها المطلية بأحمر الشفاه.. ثم شرعت في السرد

«بداية الامر.. عندما انهالت علي رأسك ضربة غيبتك عن الوعي في ذلك الزقاق المظلم.. أ تتذكر؟.. أنا من أنقذتك من ذلك اللص او أي كانت كنانته حيث ذهبت إليه وقلت أتركه وسأعطيك ما تريد.. وغدوت أنت من تلك اللحظة هي لعبتي المفضلة، حيث كان

الأمر تجربة غريبة وفريدة من نوعها.. وهمك أنك تنتقل لعالم امر ثم كنت سأفعل بك ما اريد.. اجراء تجارب عليك او بيعك او حتي استغلالك بأي شيء وأنت تعتقد أن كل ما تفعله هو في الحلم»

ـــ" ارتجفت!.. وانا أستمع لكلامها

لم أعتقد أنك شريرة إلي ذلك الحد قط!!

ثم أكملت:

«ولكنك للأسف كنت ذكي.. طبعاً سوف تسألني كيف صحوت في فراشك.. من بطاقتك الشخصية عرفت العنوان ثم أنك كنت استيقظت ولكن حقنتك بتلك المادة التي-بالمناسبة- كنت احقنك بها في كل مرة اريد جذبك إلي، وهي التي تبقيك في حالة لا وعي ولا ادراك ولكنك مفتوح العينين وتتكلم بلسان ثقيل وكأنك تحت تأثير المخدر التي يحقنوه في غرفة العمليات.. هكذا دلتنا علي رقم شقتك بالضبط وصعد بك أخي (عمار)- والذي كان نائم بفراشك عندما ذهبنا لشقتك سويا- ووضعك في فراشك لتستيقظ كأنك استيقظت من حلم..

طبعاً بعدما طبعنا نسخة من مفتاح شقتك للدخول والخروج وأنت نائم كما نريد لنفعل نفس الشيء كل

مرة وكإجراء احتياطي لكي لا تشعر بغز أبره السرنجة لأننا لا نعلم ربما تكون من هؤلاء الثعالب الذين يستيقظون من طرفة عين.. كنت أحرك مكعب ثلج علي وريدك حتي يكون بمثابة مخدر فلا تشعر.. كانت الأمور تمشي علي نحو مُرضي.. ولكنك كنت خفيف الظل للأسف.. بالإضافة إلي الذئب الذي ظهر فجأة ولم يكن بالحسبان.. ولذلك السبب للأسف ـــ قالتها بعصبية ـــ وقعت بحبك!.. حينها لم استطيع أن أؤذيك..
فتركتك حتي احاول شفاء نفسي أولاً عندما فشلت لأني مثل أي أنثي في النهاية تقع في حب منقذها الشجاع..
قررت أن أتراجع في كل شيء وأن أظهر في عالمك بشخصية (أسيل) معكوس أسمي هناك.. وفجأة وجدتك أمام سيارتي تقف هزيلا زائغ العينين حين سقطت امامي وذهبت بك إلي المستشفى كما تعلم.. للأسف لقد أحببتك ايها الأحمق.. واعرف ما ستقوله عن كم أنا مخبولة ومريضة ولكن هذا كل شيء الأمر كان عبارة عن تجربة من فتاة مجنونة في فأر ولكن حدثت الكثير من الصدف والظروف التي كانت في صالحك بالطبع..
اما لما ذا أخترتك أنت تحديدا؟ هذا السؤال أجبته منذ لحظات لأنك وقعت لي كهدية من السماء حين ضربك

ذلك اللص وايضا والأهم كان يبدو علي وجهك أنك أبله يا عزيزي.. الا أنك أثبت العكس»

ـــ" يا لك من شيطانة عبقرية؟!

أطفئت سيجارتها وهي تسعل.. واكملت:

ـــ" أما لماذا أكشف لك كل ذلك الأن برغم أنه يشكل على خطرا هو أنك اولا لن تفتح شفاهك بكلمة.. وإني سأسافر من هنا وأردت أن ارحمك من عقلك حتي لا تجن.. كرد لجميلك عندما أنقذتني من الذئب يا بطلي العزيز "

ثم نهضت وحملت حقيبتها وفاجأتني بطبع قبلة علي وجنتي! التي أحمرت خجلا... وأخذت تضحك بصوت عال وذهبت امامي حتي اختفت بين الناس.. واختفت تماماً ـ

كنت اود أن اقول لها انتظري.. أن اقول لها أني مسامحها ويمكننا بدء صفحة جديدة بيضاء.. كنت اود قول كلام كثير الا أنه من كثرته انحبس داخلي ونظرت لها شاردا ونسيت كل ما فعلته بي!.. حتما أن لها عينان عسليتان بهما سحرا من نوع خاص..

خاتمة.

الأن فهمت كل شيء.. سبب احتراق وريدي..
وشعوري بالإرهاق لأني لم اكن انام مدة كافية.. وانفكت كل العقيدات وحلت كل الألغاز، وعرفت من هي ليسا او أسيل.. وبرغم ما فعلته بي، الا أني لا أنكر شعوري بالفراغ والشوق لها تلك الملعونة..

ولكني قد نجوت من الوهم

لقد كانت مخبولة ومريضة وسيكوباثية علي الأرجح مولعة بالأفلام الأجنبية من نوع الخيال العلمي .. كانت تخطفني وتتلاعب بعقلي.. وكاد أخوها أن يقتلني يوما..

الا أنها كانت تمتلك عينان عسليتان بهما بريق يسحرني.... ـــ وبلا ارادة ابتسمت.. ـــ

أبعث اليك سلامي واللعنة علي امك..

✧✧✧

[تمت بحمد الله]

أعمال

المؤلف /حازم عبد اللطيف:

- **شوية كلام من مجرد إنسان**
- **واقع سكر زيادة**
- **هذيان منتصف الليل**
- **بوستات سخيفة (قريبا)**
- **رواية ليسا (أسيل في ارض أخري)**

شكراً لكل قارئ

شكراً لكل بناء